

الروافد المعرفية في الرسائل الأميرية

Savoirs affluents aux Lettres de L'EMIR ABDELKADER

مفلاح بن عبد الله

مختبر اللغة والتواصل

المركز الجامعي أحمد زبانة - غليزان

meflahbenabdellah@yahoo.fr

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسال
2019-01-18	2019-01-15	2019-01-11

ملخص:

تتبع هذه الدراسة تجلية بعض خصائص الكتابة عند الأمير، انطلاقاً من الحفر في بنية تلك الرسائل والكشف عن المعطيات التراثية وغير التراثية التي استدعاها الأمير وتوسل بها لدى عقل المتلقي ووجدانه بغية حمله على التفاعل إيجابياً مع معروضه.

الكلمات المفتاحية: الترسل، الرسائل، الكتابة، الموروث، الروافد، الشواهد.

Résumé :

Cette étude vise à découvrir certaines caractéristiques de l'écriture chez l'EMIR ABDELKADER. À partir de la recherche dans la structure de ces Lettres, et révéler des données patrimoniales et non patrimoniales qu'il a convoquées, pour attirer l'esprit du récepteur. Afin de le faire interagir positivement avec le thème abordée.

Mots clés :

Reporter – Lettres – Ecriture – patrimoine – Ressources – exemples.

الكتابة الإنشائية

حظيت الكتابة الإنشائية باهتمام واسع من لدن النقاد العرب القدامى والممارسين للكتابة على حد سواء، وبخاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ حيث أضحى تنافس فنون القول جميعها. يقول الأمير عبد القادر في هذا السياق ما نصه: "من المعلوم أن البيان بيانان اثنان: بيان اللسان، وبيان البنان، ومن فضل بيان البنان أن ما ثبتته الأقلام باقٍ على الأيام، وبيان اللسان تدرسه الأعوام".¹ ومما زاد من شرف هذا اللون النثري ورفعته، تهافت الخلفاء والأمراء والولاة على الظفر بمن ظهرت ملكاته، وبرزت قدراته، وذاعت شهرته في تدييج وتطوير الرسائل.

وقد عرف العرب الكتابة الإنشائية بمسميات عديدة، أهمها: الرسالة، والإنشاء، والمكاتبات، ولكن يظل المصطلح الأكثر شيوعاً في هذا الحقل هو مصطلح "الترسل" الذي قعد له الكثير من المشتغلين في حقول اللغة، والنقد، والبلاغة، فصاحب اللسان عاد بالمصطلح إلى جذوره اللغوية، وقال إنه من الرسل في الأمور والمنطق كالتهمّل والتثبت، وإن الترسّل في الكلام هو التوقّر والتفهّم والترفّع من غير أن يرتفع صوته شديداً.²

وأما ابن وهب الكاتب فقد فصل في ماهية مصطلح الترسّل، وتعامل مع حده الاصطلاحي، وجعله مرادفاً للكتابة الإنشائية، فقد رأى أن "الترسل من ترسلت - ترسل - ترسلًا، وأنا مترسل، كما يقال توقفت بهم - أتوقف - توقفاً، وأنا متوقف. ولا يقال ذلك إلاّ فيمن تكرر فعله في الرسائل، كما لا يقال: تكسر، إلاّ فيما تردد عليه اسم الفعل في الكسر. ويقال لمن فعل ذلك مرّة واحدة: أرسل - يرسل - إرسالاً، وهو مرسل، والاسم: الرسالة، أو راسل - يرسل - مراسلة وهو مرسل، وذلك إذا كان هو ومن يرسله قد اشتركا في المراسلة. وأصل الاشتقاق من ذلك أنه كلام يرسل به من بعيد، فاشتق له اسم الترسّل، والرسالة من ذلك".³

بينما انحاز القلقشندي إلى مصطلح كتابة الإنشاء الذي يراد به "كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني: من المكاتبات والولايات والمساحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها".⁴

وقد سار النقاد المحدثين على هدي القدماء في تعاملهم مع المصطلح، حيث وصفه بعضهم بأنه "فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر، أو يوجهه مقام رسمي لآخر".⁵ بينما فضل البعض الآخر توظيف مصطلح "الرسالة" والتي هي في نظرهم "ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبراً فيه عن شؤون خاصة، أو عامة، وينطلق فيهما الكاتب عادة على سجيته بلا تصنع أو تأتق، وقد يتوخى حيناً البلاغة، والغوص على المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع".⁶

الرسالة الديوانية

تصنف الرسالة الديوانية ضمن أقدم الأنواع الأدبية النثرية ممارسة في تاريخ العرب بعد معرفة الكتابة؛ فقد استعانوا بها في تواصلهم الرسمي، في سلمهم وحرهم. ونظراً للأهمية التي الكبرى التي تبوأها في مجال العلاقات، نفرت طائفة من الأدباء من أمثال عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وابن العميد للتقعيد لها، فبينوا حدّها الاصطلاحي، ورسوموا شكلها، وحددوا بنيتها وخصائصها. كما أسهم اللغويون في التقعيد لهذا النوع؛ حيث تكفلت مدوناتهم بالتأسيس وضبط الحد اللغوي للرسالة بصفة عامة.⁷

وقد نبه لأهميتها وضرورة التمكن منها وتوظيفها التوظيف الحسن عدد من النقاد والممارسين للكتابة على حد سواء؛ فمن النقاد الذين عظموا قدرها، ورفعوا شأنها، نجد القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" وذلك في سياق حديثه عن فضل الكتابة، فقال: "كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها، وأرج البضائع وأنفعها، وأفضل المآثر وأعلاها، وأثر الفضائل وأغلاها، لا سيما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانتها، وإنسان عينها بل عين إنسانها، لا تلتفت الملوك إلا إليها، ولا تعول في المهمات إلا عليها، يعظمون أصحابها ويقربون كتابها، خليفها أبداً خلق بالتقديم، جدير بالتبجيل والتكريم".⁸

ومن الممارسين للكتابة الإنشائية نجد الأمير عبد القادر الذي وصفها بـ"عين العيون بها يبصر الشاهد الغائب، وفي الكتابة تعبير عن الضمير بما لا ينطق به الإنسان، ولهذا قيل: القلم أحد اللسانين، بل الكتابة أبلغ من اللسان، فإنّ الإنسان يقدر كتابة ما لا يقدر أن يخاطب به غيره، ويبلغ المقصود حيث لا يمكن الكلام مشافهة".⁹

والرسالة الديوانية في مفهومها العام هي التي تصاغ لمعالجة الموضوعات والقضايا التي لها صلة بالقضايا السياسية وشؤون الحكم، وتسمى الرسالة الديوانية أو الإدارية أو الرسمية أو العامة. كما شمل مصطلح الرسائل الديوانية أيضاً "رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قوادهم يكلفونهم فيها بالغزو ويزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، واعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية، فكان الكاتب

يضمنها الآيات التي تتحدث عن تكاليف الجهاد باعتباره فريضة شرعها الله لحماية دينه وإعلاء شأنه، كما كانت تتحدث عما ينتظر المجاهدين من ثواب ونعيم في الدارين.¹⁰

وجلّ هذه الموضوعات أشار إليها القلقشندي في سياق بيان وظيفة الترسل، فقال: "الترسل مبني على مصالح الأئمة، وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك، وسراة الناس في مهمات الدين، وصلاح الحال، وبيعات الخلفاء، وعهودهم، وما يصدر عنهم من عهود الملوك، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف، والأقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدها إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء ولا يأخذها الحصر".¹¹

وفي ضياء ما سبق ذكره، يمكننا القول إن الرسالة الديوانية يتفرع عنها صنفان من الرسائل، هما: الرسالة السياسية والرسالة الإدارية؛ فالرسالة الإدارية هي التي تختص بتصريف شئون الدولة وما يصدر عن دواوينها ووزاراتها ومصالحها الحكومية، أو يرد إليها متعلقا بأمر الإدارة والسياسة والقانون والوظائف¹²، أما الرسالة السياسية، فهي تختص بالمراسلات التي تكون بين الخلفاء ونظرائهم من قادة الأمم والشعوب الأخرى، وكان هذا يتم كله في مكان خاص يسمى "ديوان الإنشاء".

وقد علّل القلقشندي هذه الإضافة - أي إضافة الديوان للإنشاء - بأمرين اثنين: "أحدهما: أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبدأ منه.

والأمر الآخر: أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا. وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمها، وربما قيل ديوان المكاتبات. ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن".¹³

وللاشارة، فإن عددا من النقاد يرون أن ديوان الرسائل نشأ نشأة عربية خالصة، ولكنه في أثناء سيره أمدته روافد فارسية ويونانية.¹⁴

الكفاءة المعرفية للكاتب

اهتم النقاد بالتنظير والتفعيد للكتابة الإنشائية باعتبارها أحد فنون النثر المعول عليه في أداء المهمات التي تعتذر عنها فنون أخرى كالخطابة والمقامة وغيرهما، فاجتهدوا في ضبط بنيتها النموذجية؛ كصيغ الافتتاح، وصيغ الانتقال إلى الغرض، وصيغ الخاتمة، وتفصيلات وتفرعات ليس مجالها هذه الدراسة، كما حرصوا على أن يضعوا الحد الأدنى للزاد المعرفي وحتى الخلقي لمن يتخصص في هذا اللون النثري.

فابن قدامة اشترط في كاتب الرسائل أن يكون "عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيُقصر عن بلوغ الإرادة، وألاً يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة، وألاً يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة ولا كلام الملوك مع السوقة، بل يُعطي كل قوم من القول بمقدارهم ويزنهم بوزنهم، فقد قيل: "لكل مقام مقال"¹⁵.

وينقل ابن وهب عن عبد الله بن الأَهمم قوله: "إني لست أعجب من رجل تكلم بين قوم فأخطأ في كلامه أو قصر عن حجته، لأن ذا الحجا قد تناله الخجلة ويدركه الحصر ويعزب عنه القول؛ ولكن العجب ممن أخذ دواة وقرطاساً وخلا بفكره وعقله، وكيف يعزب عنه باب من أبواب الكلام يريد، أو وجه من وجوه المطالب يؤمّه"¹⁶.

وقد أدلى "المرزوقي" بدلو، وبين مجموعة من تقنيات الكتابة التي يجب التقيد بها في إنشاء الرسائل من قبل المترسل، وهي في مجموعها تركز على خلفيات معرفية لغوية وبلاغية، فقال: "وللمترسل أمور لابد من مراعاتها: منها تبين مقادير من يكتب عنه وإليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع ربيعاً، وأن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل، والإيجاز والتخفيف، فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة، ويتفق أيضاً ما تغني فيه الإشارة ويجري مجرى الوحي في الدلالة"¹⁷.

وفي السياق ذاته، تناول "القلقشندي" مسألة ثقافة كاتب الرسائل وأهميتها، فتحت عنوان "الصفة السادسة: البلاغة" تحدث في كتابه "صبح الأعشى" عن الحال الذي يجب على الكاتب أن يكون عليه مثل حسن اختيار الألفاظ، والجمع بين الإطالة والاختصار، وحسن توظيفه لأسلوبي الوعد والوعيد، وهذه المحاسن لا تتأتى إلا لمن امتلك حمولة بلاغية توازي ثقل المهمة التي تصدر لها. يقول القلقشندي في بيان ذلك ما نصه: "بحيث يكون منها (أي البلاغة) بأعلى رتبة وأسمى منزلة؛ فإنه لسان السلطان الذي ينطق به، ويده التي بها يكتب، ورب كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى عن الكتاب، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواضب، وإذا كان جيد الفطنة صائب الرأي حسن الألفاظ، نتأتى له المعاني الجزلة فيجملوها في الألفاظ السهلة، ويختصر حيث يكون الاختصار، ويطيل حيث لا يجد عن الإطالة بداً ويتهدد فيملأ القلوب روعة، ويشكر فيلقي على النفوس مسرة؛ وإن كتب إلى ملك كبير وذو رتبة خطير عظم مملكة سلطانه ونغمها في معارض كلامه من غير أن يوجد أن ذلك قصده"¹⁸.

وينقل عن أبي الفضل الصوري في موضع آخر قوله: "ينبغي أن يكون الكاتب فصياً بليغاً أديباً، سني الرتبة، قوي الحجّة، شديد العارضة، حسن الألفاظ، له ملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذم المحمود".¹⁹

وقد اتفق النقاد المحدثون مع القدماء في ضرورة امتلاك كاتب الرسائل لنصيب ليس بالهين من المعارف اللغوية والبلاغية حتى يتاح له الجمع ما بين لطف العبارة، وحسن الإشارة. يقول علي جميل منها في كتابه الأدب في ظل الخلافة العباسية: "فكاتب الرسائل يحتاج إلى أن يعرف الفصل من الوصل، والصدور والتهاني، والترغيب والترهيب، والمقصود والممدود، وجملاً من العربية".²⁰

أما فيما يخص الزاد الخلفي - على حدّ تعبير ابن خلدون - الذي ينبغي على المتصدر للكتابة الإنشائية أن يعده ويمثله حتى يتسنى له الجمع بين حسن المنطق والخبر، فينقل لنا القلقشندي عن المذهب بن مماتي قوله: "ينبغي أن يكون الكاتب أديباً، حادّ الذهن، قوي النفس، حاضر الحس، جيد الحدس، حلو اللسان، له جرأة يثبت بها الأمور على حكم البديهة، وفيه تودة يقف بها فيما لا يظهر له على حدّ الروية، شريف الأنفة، عظيم النزاهة، كريم الأخلاق، مأمون الغائلة، مؤدب الخدام".²¹

وفي السياق ذاته، يتحدث ابن خلدون عن أهمية هذا الزاد فيقول: "واعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يُختير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك، مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر إليه في الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها".²²

الروافد المعرفية في رسائل الأمير

لقد اشترط النقاد على الممارس للكتابة الإنشائية - بالإضافة إلى المعارف اللغوية والبلاغية - أن يكون ملماً بالتراث، كأن يكون حافظاً للقرآن والحديث والشعر والأمثال والحكم، كما يجب أن يكون واسع الإطلاع بالنحو واللغة والتاريخ؛ ذلك أن هذا الموروث حاضر في وجدان المرسل إليه، وحين يتوسّل به المرسل يكون قد توسّل بأقوى الوسائل تأثيراً فيه، لأن كل معطى من معطيات التراث يرتبط دائماً بهالة من القيم الفكرية والروحية؛ بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى، أو ذاك، لإثارة كل الإيماءات والدلالات التي ارتبطت به في وجدان المرسل إليه.²³

وقد زكى "محمد التنوحي" في كتابه "المعجم المفصل" هذه الشروط وأيد الالتزام بها حين قال: "كما تتطلب هذه الرسائل ثقافة واسعة في اللغة والأدب والتاريخ، وحفظ عدد من الشواهد الشعرية والنثرية والأقوال والحكم، لاسيما القرآن الكريم والحديث الشريف، وتتنصف بالأسلوب الرصين المنمق البلاغي".²⁴

وقد سار الأمير عبد القادر على هذا النهج في الكتابة، والتزم بهذه الشروط، ووظف رصيده المعرفي في رسائله الرسمية بحسب ما يقتضيه المقام، والسياق، ولعل أهم مكونات ذاك الرصيد المستنجد به من قبل الأمير؛ رصيد الثقافة الدينية، ورصيد الثقافة التاريخية، ورصيد الثقافة البلاغية، وقد شكلت هذه الأرصدة معا روافد معرفية أغنت رسائل الأمير الرسمية.

الروافد الدينية

أولا/ الرافد القرآني

تعد الشواهد القرآنية رافدا أساسيا يعتمد عليه الكاتب في إنشاء رسائله، وقد جرت العادة أن لا تخلو أية رسالة من الاقتباس من القرآن؛ لأن الشاهد القرآني يقوى المعنى والحجة، وهي سمة مشتركة مع الشواهد الأخرى، ولكنه يزيد عليها قوة الإيحاء والتأثير، لما له من مكانة إيمانية في قلوب المتلقين.²⁵

والنص القرآني شاهدا يورد عادة في صورتين:

الصورة الأولى: أن يرد مستقلا لتقوية الفكرة، أو توضيحها، وهذا هو الغالب في هذا المجال.

الصورة الثانية: أن يرد منسابا في السياق كأنه جزء أصيل أساسي منه، مضيفا جديدا في الفكرة أو الصورة.

وقد وظف الأمير الصورة الأولى في سياقات كثيرة، منها قوله في رسالته إلى الجنرال دي ميشال: "وقال عزّ من قائل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾" (البقرة/144).²⁶

وقوله أيضا في الرسالة ذاتها: "...بل يجب تنفيذ أحكامه، والتوصل لمراميه، بلا نقص لإبرامه. قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾" (آل عمران/ 85).²⁷

وقوله أيضا في رسالة أخرى: "فإنه يحرم علينا طلب الهدنة قبل طلبكم أتم، قال تعالى في كتابه المنزل على نبينا: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾" (محمد/ 35).²⁸

كما اهتم بتوظيف الصورة الثانية التي تناسب الرسائل الرسمية، وتنسجم معها، خاصة أن النصيب الأوفر من تلك الرسائل كانت موجهة إلى ملوك، وزعماء غير مسلمين، ومن ثم كان عليه أن يتعامل مع الشاهد القرآني وفق المقام، والسياق. وسنكتفي في هذا السياق بالنماذج الآتية:

الشاهدان الأول والثاني:

الشاهد من النص	الشاهد القرآني
" أرسلت عليهم ريح عاتية " ²⁹	﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ ﴾ ³⁰
" فترى القوم فيها صرعى " ³¹	﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ ﴾ ³²

جاء هذا الملفوظ " أرسلت عليهم ريح عاتية " في سياق إخبار ووصف للحال البائس التي أمسى عليها الجيش الفرنسي بعد الهزيمة النكراء التي ألحقها به الأمير، وقد استعاره الأمير من الآية السادسة من سورة الحاقة، ونظن أن الأمير لم يجد ملفوظا أدق وأليق وأكثر قدرة على نقل تلك الحال إلى الخليفة العثماني من قوله تعالى في حق "عاد" قوم النبي الصالح "هود".

والأمر ذاته يقال في حق الملفوظ الثاني " فترى القوم فيها صرعى " وهو في حقيقته امتداد للمشهد الأول ونتيجة مباشرة لفعل "الريح" التي أتت على أخضرهم ويابسهم.

وإذا تمعنا قليلا في هذا التوظيف، نجد الأمير يستحضر واقعة قديمة بطلها "الريح" أرسله الله تعالى لمعاقبة قوم النبي هود، ويقارنها بأخرى جديدة بطلها "الأمير نفسه" وهنا الأمير يقدم نفسه على أنه من جند الله أرسله لمعاقبة الفرنسيين الذي طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد. وهذه مقابلة صريحة بين الواقعتين، ونوضحها كالاتي:

عاد	←	الجيش الفرنسي
الأمير	←	الريح
صرعى	←	الجنود القتلى والجرحى

الشاهد الثالث:

الشاهد من النص	الشاهد القرآني
" كأنهم خشب مسندة " ³³	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذْرُهُمْ قَاتِلَهُمْ ۖ ﴾

الشاهد مستمد من الآية الرابعة من سورة المنافقين، وفيه يشبه الله تعالى المنافقين بالخشب الصلبة الخشنة المستطيلة المسندة إلى جدار متروكة غير منتفع بها، وهو الوصف ذاته الذي أراده الأمير؛ إذ يرى في الجيش الفرنسي بعد مقارعته لمدة تزيد عن سبع عشرة سنة أنه جيش يغرك مظهره، لكنه في واقع الحال مجموعة من الأشباح الضخمة متآكلة الروح.

الشاهد الرابع:

الشاهد من النص	الشاهد القرآني
"وقد استمسكوا بالعروة الوثقى" ³⁵	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ³⁶

الشاهد مستمد من الآية 256 من سورة البقرة، يثني على الجزائريين الذين فضلوا محاربة الجيش الفرنسي على مهادنته، عدتهم في ذلك إيمانهم بالله واعتصامهم به وتوكلهم عليه، ولم يجد الأمير أبلغ من الآية الكريمة للتعبير عن فعلهم.

الشاهد الخامس:

الشاهد من النص	الشاهد القرآني
"وكن لنا لوجه الله ورسوله معينا" ³⁷	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أُكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ³⁸

الشاهد مستمد من الآية 265 من سورة البقرة، والتي جاءت في سياق الحث على الإنفاق والإخلاص فيه، فابتغاء وجه الله في العمل هو أن يعمل له دون سواه تقربا إليه، وإرضاء له لذاته، لا للتشوف إلى شيء آخر. والأمير هنا يدعو الخليفة العثماني إلى مدهم بالعدة والعتاد تقربا إلى الله، وفي كلتا الحالتين هو إنفاق.

الشاهد السادس:

الشاهد من النص	الشاهد القرآني
"ومع ذلك ما ضعفوا، ولا هانوا، ولا استكانوا، ولا حزنوا". ³⁹	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾. ⁴⁰

الشاهد مستمد من الآية 146 من سورة آل عمران، يثني فيه الأمير على مقاتليه الذين وقفوا ندا للجمهورية الفرنسية لمدة تزيد عن سبع عشرة سنة، فلم يحزنوا لما فقدوه من الأهل والعشيرة والأموال، ولا ضعفوا بسبب قوة العدو، وتخلي القريب والبعيد عن نصرتهم. وكان الأمير أراد يكافئهم فشبههم عند الخليفة العثماني بأصحاب الأنبياء..

الشاهد السابع:

الشاهد من النص	الشاهد القرآني
"ونحن بالله، والاعتماد على الله، ومرجعنا إليه، والاعتماد عليه" ⁴¹	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. ⁴²

الشاهد مستمد من الآية 13 من سورة التغابن، يشير فيه إلى أنه ومقاتليه يعتمدون على الله ويتوكلون عليه في حربهم وسلمهم، وهم بذلك يجسدون معنى الآية في واقعهم، تقربا إلى الله.

الشاهد الثامن:

الشاهد من النص	الشاهد القرآني
"إن لنا الوفاء بالعقود، والوقوف عند المواثيق والعهود" ⁴³	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. ⁴⁴

الشاهد مستمد من الآية الأولى من سورة المائدة، يصرح فيه الأمير بالتزامه بالعهود والمواثيق والاتفاقيات وفقا لمقتضى أوامر الخطاب القرآني، وهنا أيضا نلمح الحرص على نقل النصوص القرآنية من واقع الإشباع الفكري إلى واقع الممارسة والتجسيد.

الشاهد التاسع:

الشاهد من النص	الشاهد القرآني
"مهما تضخمت قواتكم فإنها لن تستطيع أن تتأني إلا إذا أراد	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الله ذلك".⁴⁵شيءٍ قديرٍ⁴⁶.﴿إِنَّ رَبَّكَ فَاعَلْ لِمَا يُرِيدُ﴾⁴⁷.﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾⁴⁸.

الشاهد مستمد من آيات كثيرة تدور حول حقيقة أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته شيء، ومن ثم فالأمير راض بقضاء الله، مستسلم لقدره، مؤمن بأنه لن ينتصر إلا بإذنه، ولن يهزم إلا بعلمه.

الرافد النبوي

وينهج الأمير النهج نفسه في التعامل مع شواهد الحديث النبوي، فهو يُردهُ منسباً في السياق كأنه جزء أصيل أساسي منه. وسنكتفي في هذا السياق بالنماذج الآتية:

الشاهد الأول:

الشاهد من النص	الشاهد من الحديث
"ولم يبق إلا ما يسر ويؤنس، تسير المرأة وحدها شهراً، لا تخاف إلا الله ولا تخشى أحداً نكراً" ⁴⁹	(والله ليرتد الله هذا الأمر حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه). ⁵⁰

جاء هذا الملفوظ في سياق تسويق الأمير لنفسه عند الخليفة العثماني، وتقديمه لنفسه على أنه صاحب قوة ونفوذ وسلطان، قادر على حماية الأرض والعرض، وضمان الأمن والأمان، وقد استعار الأمير هذا الملفوظ من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر به أصحابه أيام المحنة بنصر الله وانتشار الإسلام والسم والأمان.

الشاهد الثاني:

الشاهد من النص	الشاهد من الحديث
"ونحن نقول: المسلمون جسد واحد" ⁵¹	(عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى). ⁵²

جاء هذا الملفوظ في سياق توسّل الأمير للخليفة العثماني أن يمدّه بالعتاد اللازم الذي يمكنه من مواصلة جهاده ضد الفرنسيين، وقد ذكره الأمير بحقوق المسلمين اتجاه بعضهم بعض كالتراحم والملاطفة والتعاضد، وهي قيمة إسلامية نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه.

الشاهد الثالث:

الشاهد من النص	الشاهد من الحديث
"وَصِلُوا فِينَا بِفَضْلِكُمْ رَحِمَ الإسلام" ⁵³	(عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحاسدوا ولا تتاجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه) ⁵⁴

جاء هذا الملفوظ أيضا في سياق التوسّل، لكن هذه المرة موجه إلى الصدر الأعظم ⁵⁵، طالبا منه المساعدة والمساندة والنصرة، باعتبارها حق للأمر كفله له الإسلام، وواجب على الصدر الأعظم فرضه عليه الإسلام.

الشاهد الرابع:

الشاهد من النص	الشاهد من الحديث
"وَأَنَا مِنْ عِيَالِكَ، وَاللَّهِ سَائِلُكَ عَنَّا" ⁵⁶	(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنَّ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ⁵⁷

جاء هذا الملفوظ "ونحن نقول: المسلمون جسد واحد..." أيضا في سياق التوسّل، ولكنه أخذ منحى آخر؛ إذ نجد هنا الأمير يحاجج الخليفة العثماني، ويذكره بمسؤولياته اتجاه الشعب الجزائري المجاهد، وأنّ الله عزّ وجلّ سائله عنه، وعن عدم النصرة، خاصة وهو خليفة المسلمين، وعلى عاتقه يقع حمايتهم.

ولعله من فضول القول أنّ ننبه إلى أن الأمير لم يورد هذه الشواهد مجردة، ولكن ساقها مرتبطة بوقائع ومناسبات ومواقف، فجاءت في السياق متوافقة، دون تعمل أو تعسف وتكلف؛ وذلك لتأكيد المضمون، وتقويته، والإقناع به، وقد تضيف إلى المضمون أفكارا جديدة لم ترد في السياق، وتبقى دلالتها الذاتية واضحة، وهي سعة إطلاع الأمير وحضور بديته وحماسه لموضوعاته.

الرافد التاريخي

لقد اعتنى كُتّاب الرسائل بتوظيف التاريخ اعتناءهم بتثقيف أنفسهم، وحرصهم على معرفة أخبار الدول، وملوكها، وسياساتهم ووقائعهم، وما اتفق لهم من تجارب؛ لأن الكاتب قد يضطر للسؤال عن أحوال السلف أو يراود منه في الكتاب ذكر واقعة بعينها، أو يحتاج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها. فالتاريخ كما يقول صلاح الصفدي له "أثر كبير في الثقافة العامة، فهو سجل الأيام من سياسة وعمران، وفن وأدب"⁵⁸

وقد استشهد الأمير بكثير من الواقع التاريخية، فرسائله تظهره قارئاً له، وصانعاً له أيضاً. وهو يتغيا من توظيف التاريخ وإيراد وقائع منه التأثير على المرسل إليه واستمالته للوقوف إلى جانبه وتأييد قضيته، وبخاصة حين يعتمد إيراد الوقائع التاريخية التي تظهر المرسل إليه مناصراً للقضايا العادلة. ورسائل الأمير تمنحنا شواهد كثيرة تظهر قدرته الفائقة على حسن استثمار التاريخ لنصرة قضيته. وسنكتفي في هذا السياق بالنماذج الآتية:

قوله في رسالته إلى ملكة إسبانيا:⁵⁹

"من المسلم به لدى جميع الناس، أن الإسبان يؤلفون أمة قوية وقديرة، مشهورة بأعمالها الكبيرة منذ أزمنة بعيدة..."

"لقد جرت العادة بين الملوك منذ العصور القديمة، أن يصلحوا الخلافات التي تنشب بين إخوانهم، ويمنعوا الحرب بينهم كذلك..."

ففي هذين النصين يستنجد الأمير بالتاريخ من أجل استمالة ملكة إسبانيا للوقوف إلى جانبه ومساعدته في ثورته؛ حيث نجده يذكرها بصنائع أجدادها في الإصلاح بين الممالك والدول المتحاربة.

أما في رسالته إلى السلطان عبد المجيد فنجده يعدد الأخطاء التاريخية للجيش الإنكشاري، ويحمله أسباب الهزائم التي منيت بها الشعوب الإسلامية. فيقول:

"إن الينشارية الذين كانوا بالجزائر، لما خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين والدك المرحوم عاقبهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم العدو الكافر الغاشم..."⁶⁰

ويضيف:

"...وما من مدينة من مدن الإسلام دخلها الكفار إلا كان الينشارية هم دعائهم إليهم ومرسلها..."⁶¹.

كما نراه في الرسالة ذاتها يسرد واقع بيعته أميراً، وهو سرد يعزز به شرعية بيعته وإمارته ومقاومته. فيقول: "...فاجتمعوا أعيان الوطن وطلبوا ذلك من الوالد، فنفر منهم نغير البعير الشارد، مع ما كان فيه من الرحمة على المسلمين والإشفاق، لأنه كان أروع أهل الوقت على الإطلاق، فطلبوا منه تعيين بعض أولاده لذلك أشار إلي..."⁶²

الرافد البلاغي

يحتاج كاتب الرسائل إلى ثقافة بلاغية ودراية تامة بفنون البيان والبديع حتى يتمكن من حسن الاستدعاء للأدوات البلاغية، ومن حسن توظيفها أيضاً. وقد استثمر الأمير رصيده المعرفي البلاغي في تدبيج رسائله وتطريزها، وبخاصة تلك الموجهة إلى الخليفة العثماني أو الصدر الأعظم؛ حيث ظهر من خلالها تمكنه من فنون البيان والبديع على الرغم من أنها رسائل ديوانية رسمية. وسوف تقتصر الدراسة على الحديث عن فن التشبيه وتجلياته في بعض من رسائل الأمير.

التشبيه

التشبيه في مفهومه العام هو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه، أو هو العقد على اشتراك شيئين في صفة، وهذا المفهوم يتفق عليه أهل البلاغة وإن اختلفت عباراتهم في التصريح بقوة الصفة وظهورها في المشبه به عن المشبه؛ فالسكاكي يقدمه على أنه: "مستدع طرفين مشتبها ومشبه به واشتركا بينهما في وجه الشبه"⁶³. وأبو هلال العسكري يعرفه بقوله: "والوصف بأحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أم لم ينب"⁶⁴. أما الرماني فيصفه بأنه "العقد على أن أحد الشئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل"⁶⁵.

وقد استنجد الأمير بهذا اللون البلاغي، ووظف بعض أقسامه وأنواعه في بعض رسائله، بغية - كما ذكر السيوطي - تأنيس النفوس بإخراجها من خفي إلى جلي، وإدناء البعيد من القريب ليفيد بياناً، والكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار.⁶⁶

أولاً/ تشبيه المحسوس بالمحسوس: يكون "المشبه والمشبه به حسيين، أي مدركين بإحدى الحواس الخمس"⁶⁷

وجه الشبه	المشبه به	المشبه	الشاهد
العظمة	الشمس	الخليفة العثماني	شمسهم التي تستمد منها كواكبهم
الكرم والعطاء	البحر المحيط	الخليفة العثماني	البحر المحيط الذي لا تخوض لمحجه مراكبهم
العلو والارتفاع	الطود الشاخر (الجبل العظيم)	الخليفة العثماني	طود الملوك الشاخر
عدم النفع	الخشب	الجيش الفرنسي	كأنهم خشب مسندة
الحياء/الخوف	النساء	الجيش الفرنسي	يبقى جيشهم من وراء الجدران كأنهم نساء مخدرات

في الشاهد الأول، شبه الأمير عبد القادر الخليفة العثماني بالشمس، والشمس من أجمل وأعظم مخلوقات الله، استعملها العرب في تشبيهاتهم في كل ما هو حسن وجميل. وتشبيه الخليفة بالشمس مبلغة منه في إبراز مكانته وجلال قدرته. وهنا نجد تشبيه محسوس (الخليفة) بمحسوس (الشمس).

في الشاهد الثاني، شبه الأمير عبد القادر الخليفة العثماني بالبحر، والبحر في عرف البلغاء رمز للكرم والعطاء والبذل، وقد اعتاد العرب على تشبيه الإنسان الجواد بالبحر والمطر. وهنا نجده يشبه محسوس (الخليفة) بمحسوس (البحر).

في الشاهد الثالث، شبه الأمير عبد القادر الخليفة العثماني بالطود. والطود في اللغة الجبل العظيم الذاهبُ صُعْدًا في الجوّ، وَيُشَبَّهُ به غيره من كل مرتفع أو عظيم أو راسخ.⁶⁸ وقد وظفه الخطاب القرآني في سياق حديثه عن قصّة انفلاق البحر لسيدنا موسى عليه السلام. يقول تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾⁶⁹، أي كالجبل على نشز من الأرض.⁷⁰ وهنا نجد تشبيه محسوس (الخليفة) بمحسوس (الطود).

في الشاهد الرابع، شبه الأمير عبد القادر الجيش الفرنسي بالخشب المسندة، والخشب في اللغة يدل على خشونة وغلظ⁷¹، أما مسندة فهو الاعتماد والاتكاء إلى شيء سواء كان الاستناد في الظاهر أو في أمر معنوي. وقد وظفه الخطاب القرآني في سياق حديثه عن المنافقين وصفاتهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا

رَأَيْتَهُمْ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ⁷²؛ أي لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول.⁷³

القصد هنا أن الجيش الفرنسي يمتلك عتادا وعدة المحاربين، لكنه يفتقد إلى روح المحاربين وشجاعتهم. وهنا نجد تشبيه محسوس (الجيش الفرنسي) بمحسوس (الخشب).

في الشاهد الخامس، شبه الأمير عبد القادر الجيش الفرنسي بذوات الخدور، وذوات الخدور، وهن البنات الأبكار البالغات والمقاربات للبلوغ اللاتي يلتزمن البيت، هذا التشبيه فيه استهزاء بالجيش الفرنسي الذي يتحصن في مقراته خوفا من الأمير وجيشه. وهنا نجد تشبيه محسوس (الجيش الفرنسي) بمحسوس (النساء).

ثانيا/ تشبيه المحسوس بالمعقول: يكون المشبه هنا حسياً مادياً والمشبه به معنوياً أو عقلياً، وهو "إخراج ما تقع عليه الحاسة إلى ما لا تقع عليه الحاسة"⁷⁴.

الشاهد	المشبه	المشبه به	وجه الشبه
ركنهم الثابت الراجح	الخليفة العثماني	الركن الثابت	العزة والمناعة
كعبة الملوك	الخليفة العثماني	كعبة الملوك	ملاذ الخائفين

في الشاهد الأول، شبه الأمير عبد القادر الخليفة العثماني بالركن الثابت. والركن لغة الجانب القوي من الشيء فيكون عينه. ومن معانيه في الاستعمال العربي العزة والمناعة. وقد وظفه الخطاب القرآني في قوله تعالى على لسان نبي الله لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾⁷⁵، أي أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم.⁷⁶ وهنا نجد تشبيه محسوس (الخليفة) بمعقول (الركن).

في الشاهد الثاني، شبه الأمير عبد القادر الخليفة العثماني بالكعبة. والكعبة، والكعب في اللغة اسم لما علا وارتفع. وفي اللسان كل شيء علا وارتفع فهو كَعْبٌ.⁷⁷ ويقال: رجل عالي الكعب: يوصف بالشرف والظفر.⁷⁸ والأمير وظف الكعبة بمعنى المتجّه والمقصد، وشبه محسوس (الخليفة) بمحسوس (الكعبة).

خلاصة الأمر

وفي ضياء ما سبق، نستجيز القول إن رسائل الأمير عبد القادر الجزائري السياسية اتسمت بنحط الكتابة الفنية التي أرسى قواعدها عبد الحميد، وأتم بنيانها ابن العميد. و الأمير في هذا مقلد، اقتفى آثار

سابقه، فوقف عند القواعد التي قننوا، والتزم بالشكل الذي رسموا، فجاءت رسائله تحمل عقب التراث الزكي الذي لازالت الكتابات المعاصرة تدين له بالكثير.

ويبقى ما قدمته هذه الدراسة ما هو إلا غيض من فيض، وإلا فرسائله لا تزال يحتاج إلى استنطاقات أخرى، تختبر فيها آليات أخرى بإمكانها أن تبرز ثراء رسائله وقدراته التخاطبية.

هواش الدراسة

¹ الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 212/213، عن الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986)، ص 66.

² ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب المحيط، تحقيق: يوسف خياط، (بيروت، دار الجيل ودار لسان العرب، 1988)، ج 6، ص 153.

³ ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط 1، (بغداد، مطبعة العاني، 1967)، ص 193. وينظر في الموضوع أيضا: المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، ط 1، تحقيق غريد الشيخ، (دت)، ج 1، ص 18.

⁴ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1922)، ص 1، ج 1، ص 25.

⁵ غالب حسين، بيان العرب الجديد، ط 1، (دار الكتاب اللبناني، 1971)، ص 181.

⁶ جبور عبد التور، المعجم الأدبي، ط 2، (لبنان، دار العلم للملايين، 1984)، ص 122.

⁷ جاء في البرهان لابن وهب قوله: "الترسل من ترسل - ترسل - ترسل، وأنا مترسل، كما يقال توقفت بهم - أتوقف - توقفاً، وأنا متوقف. ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله في الرسائل، كما لا يقال: تكسر، إلا فيما تردد عليه اسم الفعل في الكسر. ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة: أرسل - يرسل - إرسالاً، وهو مُرسل، والاسم: الرسالة، أو راسل - يرسل - مراسلة وهو مُراسل، وذلك إذا كان هو ومن يرسله قد اشتركا في المراسلة. وأصل الاشتقاق من ذلك أنه كلام يرسل به من بعيد، فاشتق له اسم الترسل، والرسالة من ذلك". ينظر في الموضوع: ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط 1، (بغداد، مطبعة العاني، 1967)، ص 193.

⁸ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، (مصر، دار الكتب المصرية، 1922)، ج 1، ص 02.pdf.

⁹ الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 212/213، الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 66.

¹⁰ فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث الهجري، (مصر، دار المعرفة الجامعية، 1991)، ص 18. ينظر في الموضوع: حسني بيوض، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1992)، ص 5.

¹¹ القلقشندي، صبح الأعشى، مرجع سابق، ج 1، ص 60.

- ¹² انظر: فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث الهجري، المرجع السابق، ص 26، 27.
- ¹³ القلقشندي، صبح الأعشى، مرجع سابق، ج 1، ص 44.
- ¹⁴ ينظر: نصار حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2001)، ص 69/68.
- ¹⁵ أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1980)، ص 96.
- هو أحد رجال الدولة الأموية ومن استعان بهم يزيد بن المهلب على حمل الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ليوليه خرسان عام 97 هـ.
- ¹⁶ أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حنفي محمد شرف، (مصر، مكتبة الشباب ومطبعة الرسالة، 1969)، ص 151.
- ¹⁷ المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، ج 1، ص 18.
- ¹⁸ القلقشندي، صبح الأعشى، مرجع سابق، ج 1، ص 32.
- ¹⁹ المرجع نفسه، ج 1، ص 33.
- ²⁰ علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط 1، (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1981)، ص 224.
- ²¹ القلقشندي، صبح الأعشى، مرجع سابق، ج 33.
- ²² عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ط 1، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004)، ص 247.
- ²³ أنظر: محمد فتوح أحمد، النثر الكلاسي في العصر الأموي، ط 2، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965)، ص 163/164.
- ²⁴ محمد التنوحي، المعجم المفصل في الأدب، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1999)، ج 2، ص 478/479.
- ²⁵ أنظر: الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 45.
- ²⁶ رسالة الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشال بتاريخ 30 أكتوبر 1833، عبد الحميد زوزو، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال، ط 4، (الجزائر، دار هومة، 2011)، ص 46.
- ²⁷ المرجع نفسه.
- ²⁸ رسالة الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشال بتاريخ 20 جانفي 1834، المرجع نفسه، ص 50.
- ²⁹ رسالة الأمير إلى السلطان عبد المجيد، بتاريخ شوال 1257 الموافق لـ ديسمبر 1841، عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، مرجع سابق، ص 223.
- ³⁰ الحاقة: 6 و 7.
- ³¹ عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، المرجع السابق، ص 223.
- ³² الحاقة: 6 و 7.
- ³³ عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، المرجع السابق، ص 223.
- ³⁴ المنافقون: 4.

- ³⁵ عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، المرجع السابق، ص 226.
- ³⁶ البقرة: 256.
- ³⁷ رسالة الأمير إلى الصدر الأعظم بتاريخ شوال 1257 الموافق لـ ديسمبر 1841، عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ص 227.
- ³⁸ البقرة: 265.
- ³⁹ رسالة الأمير إلى السلطان عبد المجيد، مرجع سابق، ص 225.
- ⁴⁰ آل عمران: 146.
- ⁴¹ رسالة الأمير إلى ملكة إسبانيا بتاريخ 16 جوان 1847، يحي بوعزيز وميكل دوايالزا، مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986)، ص ص 63.
- ⁴² التغابن: 13.
- ⁴³ رسالة الأمير إلى ملكة إسبانيا بتاريخ 23 سبتمبر 1847، يحي بوعزيز وميكل دوايالزا، مراسلات الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 88.
- ⁴⁴ المائدة: 1.
- ⁴⁵ رسالة الأمير إلى المارشال فالي بتاريخ 15 أبريل 1840، جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009)، ص 105.
- ⁴⁶ آل عمران: 26.
- ⁴⁷ هود: 107.
- ⁴⁸ الإنسان: 30.
- ⁴⁹ رسالة الأمير إلى السلطان عبد المجيد، مرجع السابق، ص 224.
- ⁵⁰ نص الحديث: " عن خباب قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون." الراوي: خباب بن الارت المحدث: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند الإمام أحمد، (دار إحياء التراث العربي، 1993)، أول مسند البصريين، رقم (20568).
- ⁵¹ رسالة الأمير إلى السلطان عبد المجيد، مرجع سابق، ص 225.
- ⁵² مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (2586)، (دار إحياء الكتب العربية).
- ⁵³ رسالة الأمير إلى الصدر الأعظم بتاريخ شوال 1257 الموافق لـ ديسمبر 1941، عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، مرجع سابق، ص 227.

- ⁵⁴ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديث من جوامع الكلم، تخ: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، (لبنان، مؤسسة الرسالة، 2001)، ج 2، ص 257.
- ⁵⁵ الصدر الأعظم: بالعثمانية صدر أعظم أو وزير أعظم وهو أعلى منصب تحت السلطان مع السلطة المطلقة له وهو الذي يحمل ختم السلطنة، وسلطة تعيينه وعزله حق للسلطان فقط، وتتعدد جلسات الوزراء بأمره للإطلاع على شؤون الدولة ويجتمعون في قصر الباب العالي وهو قصر توبكاي. ويوجد أيضا في الباب العالي جميع مكاتب الوزراء مع الصدر الأعظم. المنتدى العسكري العربي، <http://www.arabic-army.com>.
- ⁵⁶ رسالة الأمير إلى السلطان عبد المجيد، مرجع سابق، ص 226.
- ⁵⁷ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، (دار ابن كثير، 1993)، أبواب صفة الصلاة، باب السجود على الأنف والسجود على الطين، رقم (853).
- ⁵⁸ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط 2، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965)، ج 1، ص 17.
- ⁵⁹ رسالة الأمير إلى ملكة إسبانيا بتاريخ 28 أبريل 1847، يحي بوعزيز وميكل دوايالزا، مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986)، ص 49.
- ⁶⁰ رسالة الأمير إلى السلطان عبد المجيد، ب بتاريخ شوال 1257 الموافق ل ديسمبر 1841، عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ص 37/36.
- ⁶¹ رسالة الأمير إلى السلطان عبد المجيد، ب بتاريخ شوال 1257 الموافق ل ديسمبر 1841، عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ص 37/36.
- ⁶² رسالة الأمير إلى السلطان عبد المجيد، عبد الجليل التيمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ص 36.
- ⁶³ السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ط 1، (مصر، مطبعة مصطفى البادي الحلبي، 1937)، ص 177.
- ⁶⁴ أبو هلال بن الحسن بن سهل العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، (دار إحياء الكتب العربية، 1952)، ص 239.
- ⁶⁵ الروماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل، ص 81/80. عن محمود موسى حمدان، أدوات التشبيه دلالتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، ط 1، (مصر، مطبعة الأمانة، 1991)، ص 10.
- ⁶⁶ أنظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1991، ج 2، ص 1، ص 90.
- ⁶⁷ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986)، ج 1، ص 199.
- ⁶⁸ المرجع نفسه، ص 569.
- ⁶⁹ سورة الشعراء، الآية 63.
- ⁷⁰ أنظر: محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، (القاهرة، مكتبة بن تيمية)، ج 19، ص 358.
- ⁷¹ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، ط 1، ترجمة عبد السلام هارون، (دمشق، دار الفكر، 1979)، ج 2، ص 184.

⁷² سورة المنافقون، الآية 04.

⁷³ أنظر: محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، (القاهرة، مكتبة بن تيمية)، ج 23، ص 396.

⁷⁴ عطية نايف عبد الله الغول، البلاغة (البيان والمعاني) في كتاب الفائق في غريب الحديث للزمخشري، (عمان، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2015)، ص 29.

⁷⁵ سورة هود، الآية 80.

⁷⁶ أنظر: محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، (القاهرة، مكتبة بن تيمية)، ج 15، ص 418.

⁷⁷ ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب المحيط، تحقيق: يوسف خياط، (بيروت، دار الجيل ودار لسان العرب، 1988)، ص 720.

⁷⁸ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، (مكتبة الشروق الدولية، 2004)، ص 790.